العلم بالفتن من حديث النبي صلى الله عليه وسلم سبب للنجاة منها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله. أما بعد:

فقد اعتذرت عن درس الأمثال بسبب ما أكرمنا ربنا تعالى به من الأمطار، فأسأل الله تعالى أن يغيث قلوبنا كما أغاث بلادنا.

ولا أقول بسبب الظروف الجوية السيئة، فهذه مقولة سيئة.

أن نقول عند نزول المطر بسبب الظروف السيئة هذه مقولة سيئة وليست بصحيحة.

وتفاجأت بحضور الإخوة، فشكر الله همتهم ورفعها وجعلنا وإياهم من طلبة العلم. فزورت في نفسي أن أقول كلمة في هذا الجمع، وأسأل الله تعالى أن ينفعني وإياكم بها.

كان ابن أبي جمرة يقول كلمة وأنا استفدت منها وسأقلبها.

كان يقول: "لو كان الأمر إليّ لجعلت في كل محفل ومجمع من مساجد المسلمين من يذكرهم بفقه النية وفقه الإخلاص".

العصر الذي كتب الله علينا أن نعيشه وأن ندركه عصر نستطيع أن نسميه عصر الفتنة.

وما أحوج المسلم لأن يعلم معالم كلية وقضايا مهمة في موضوع الفتنة.

مرت بنا في حياتنا في القسم الذي أدركناه فيما عشنا، مرت فتن كثيرة، والإنسان كان له موقف منها وأرجو الله تعالى أن يكون الموقف بناء على الشريعة بكلياتها وما ورد فيها من نصوص وكذلك من خلال معرفة منهج علمائنا السابقين واللاحقين في الفتن.

وهذه الفتن التي عشناها وأدركناها بينها فروق، وهذه الفروق تحتمت على من يريد أن يتكلم فيها أن يفرق بينها.

بعض الجهلة الذين يرقبون من بعيد يظنون أن اختلاف هذه المواقف هو تناقض، وهذا التناقض ما ينبغي أن يكون لطالب العلم، وهذا الذي أقوله هو كذلك ما أدركناه وعايشناه من خلال موقف مشايخنا الكبار، وأنا أجزم جزماً لا أشك فيه أن مشايخنا الكبار –رحمهم الله تعالى– لو أدركوا ما أدركنا من فتنة ما يجري مع يهود ما كان موقفهم إلا أن أدانوا اليهود أولاً، وكانوا مع من يقاتلهم ثانيًا.

المهم هذا المجلس أحببت أن يكون فيه تذكير وبيان كليات مهمة في موضوع الفتنة.

والذي أدركت أن بعض الإخوة من طلبة العلم المبثوثين في أنحاء الدنيا، وأنا لا أتكلم عن أشخاص معينين من كان منهم حاذقًا ناظرًا حريصًا على الفتنة وكان شبعان ريان مليئًا بالأخبار التي أخبر عنها النبي ﷺ عن الفتن، كان بإذن الله تعالى وتوفيق منه كان بعيدا عنها.

فكلما كان الإنسان متبحرًا عارفًا بموضوع الفتنة التي أخبر عنها النبي ﷺ أكرمه الله تعالى بأنه اعتصم بالثابت بالوحي المنزل من السماء، فابتعد عن الفتن.

قلت لكم إن شعار العصر أو الحقبة من الزمان التي نعيشها عصر الفتنة ، والناس يتكلمون بالفتة بفتنة، ولا يتكلمون بفتنة وهم معتصمون بالنصوص الشرعية، والناس تغيب عنهم الكليات المهمات في موضوع الفتنة، ولذا أرجوا الله عز وجل أن ينفع بهذا المجلس وأن يبارك فيه وأن أذكر نفسي وإخواني بكليات مهمة ما يجوز البتة أبدًا أن تغيب عن المسلم.

النجاة من الفتنة واجب.

فإذا كان لا ينجو العبد من الفتنة إلا بمعرفة هذه الكليات فيتعين عليه وجوبا أن يعلمها لا لذات علمها وإنما لكي ينجو منها.

لما نتكلم عن الفتنة، الفتنة في أحاديث النبي ﷺ لها معنيان، وهذان المعنيان ثابتان واضحان في أذهانهم، وظهر هذا الوضوح من خلال محاورة مهمة أخرجها الإمام البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي وائل شقيق ابن سلمة وهو تابعي كوفي قال: كنا في مجلس أمير المؤمنين عمر.

عمر قفل فتنة رضي الله تعالى عنه لا يمكن الفتنة أن تنتشر في الأمة وعمر حي، هذه قاعدة شرعية ثبتت بنصوص كثيرة، ومن قرأ ترجمة عمر في تاريخ بن عساكر يتيقن على هذا، ولن أتفرع كثيرا أريد أن أحصر كلامي في كليات لكي نحقق النجاة، همي من هذا الكلام أن نحقق النجاة بعلم شرعي قائم على أصول ثابتة.

فيقول التابع الكوفي أبي وائل شقيق أبي سلمة: كنا في مجلس أمير المؤمنين عمر ومعنا حذيفة.

حذيفة بن اليمان يمتاز من بين سائر أصحاب مُحَمَّد ﷺ بأنه متخصص في الفتنة.

الصحابة لهم ألوان في العناية من العلوم.

فأبو عبيدة كان أمينا.

وعمر كان رحيما.

وأبو بكر كان رحيما.

وعمر كان شديدا.

وزيد كان متخصصا في الميراث.

ومعاذ كان متخصصا في الحلال والحرام.

أبو هريرة سيد الحفاظ.

أحفظ أصحاب مُحَمَّد ﷺ. أبو هريرة.

فالصحابة متخصصون، وهذا أصل يعرفه الفقيه في جواز تجزء الاجتهاد.

لما الصحابة اختلفوا إذا يجوز أن يتجزأ الاجتهاد.

ما معنى يجوز أن يتجزأ الاجتهاد؟.

يعني لا يمكن واحد يكون محيطا بكل شيء.

فالاجتهاد يتجزأ.

وهذا هو القول الحق عند الأصوليين، مع تفصيلات .

لست أريد أيضا أن أخرج عن الموضوع.

فحذيفة رضي الله تعالى كان متخصصاً في الفتن فقال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه.

فالصحابة يسألون الرسول ﷺ عن الخير دروب الخير وفعل الخير وحذيفة رضي الله تعالى عنه متخصص ليسأل عن الشر.

فجزاه الله عن أمة مُحَمَّد خيرا، وجزاه الله عنا نحن المتأخرون من أمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم خيرا. فكم استفدنا من تخصصه هذا رضي الله تعالى عنه.

فحذيفة أبي وائل شقيق أبي سلمة يقول: كنا في مجلس عمر بن الخطاب ومعنا حذيفة.

أنا متيقن أن عمر سأل سؤالاً بسبب وجود حذيفة.

سأل سؤالً وهذا سؤال مهم.

قال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟.

ما أحد يستطيع يتكلم وحذيفة موجود.

فقال حذيفة لأمير المؤمنين أنا يا أمير المؤمنين.

السؤال واضح.

الجواب واضح.

إذا كان عندنا واحد مثلا متخصص في علم، فسأل سأل عن متخصص في هذا العلم، لمن يحال الجواب؟ من الذي يجيب؟.

المتخصص.

فقال حذيفة: أنا يا أمير المؤمنين، فقال له عمر إنك إذا لجريء.

هذه المقولة مقولة عمر (إنك لجريء) جعلت حذيفة يغير الموضوع.

ويعلم أن الفتنة قسمان لا ثالث لهما.

فقال: فتنة الرجل في أهله وماله وجيرانه تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال عمر لا أسأل عن هذا.

وحذيفة يعلم عن ماذا يسأل، ولكن لما سمع من عمر قال إنك لجريء.

فالفتنة قسمان:

فتنة لا تنفك عن الإنسان في أي زمان أو مكان، هذا النوع الأول.

النوع الثاني من الفتن: الفتن التي تهيج وتنتشر في الأمة ما بين مد وجزر.

تطول أمواجها فتصيب المد وتصيب المسلمين وثم تنحسر.

هذا النوع اللي أدركناه النوع الثاني.

فحذيفة قال: فتنة الرجل ما دام أنه حي ومكلف فالفتنة محصورة فتنة الرجل في أهله وماله وجيرانه، هذه الأنواع الثلاثة.

الفتنة التي تخص كل إنسان لها ثلاث شعب: في أهلك، في مالك، في جيرانك ومحيط عملك ومن تخالطهم ويخالطوك في مهنتك ووظيفتك وما شابه.

فقال حذيفة، الكلام كلام نبوي، الكلام كلام النبي ﷺ. قال: فتنة الرجل في أهله وماله وجيرانه تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فذكر ثلاثة أنواع، وذكر ثلاث مكفرات.

الأهل تكفرها الصلاة.

الرجل مفتون في أهله بالصلاة.

الواجب على الأبوين –الأب والأم– أن يكون هدفهم من الحياة وديدنهم والذي يشغل قلبهم وقالبهم والهم الأكبر الذي يحملونه بالنسبة للأولاد إقامة الصلاة.

من لم يكن أهل بيته وأولاده وبناته من أهل الصلاة هو مفتون في بيته.

فتنة الرجل في أهله تكفرها الصلاة.

ولو جاء على المسجد وقرأ القرآن كل ثلاث أيام أو كل أسبوع وحرص على قيام ليل واشتغل وعنده أولاد تاركين صلاة أو بناته تاركين صلاة هذا مفتون في أهله. النجاة من فتنة الأهل إقامة الصلاة.

فتنة الرجل في أهله ، ثم قال في ماله.

مع مرور الزمان ينتشر الحرام، والنبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى لا يبالي الرجل أصاب المال من حلال أم من حرام.

الذي عنده مال مفتون في ماله.

وكفارة الفتنة ماذا؟

الصدقة.

فتنة الرجل في أهله وماله وجيرانه، تكفرها: الصلاة أولا ثم ثانيا الصدقة.

كلما اشتهر الحرام وانتشر الحرام وانتشر ما فيه شبهة حتى تخرج على الفتنة لابد أن تعمل على الصدقة، تطهر مالك من الصدقة، إذا ما طهرت مالك من الصدقة عند الله جنهم، وجهنم تطهر الإنسان من الشهوات والشبهات التي وقع فيها.

فتنة الرجل في جيرانه ما يكفرها؟

جيرانك في السكن وجيرانك في العمل وزملاءك الذين تجالسهم وأحباءك ماذا يكفرها؟.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال أهل العلم: ذكر ثلاث فتن وذكر ثلاث مكفرات والمكفرات مذكورات بنفس الترتيب، علماء البلاغة يقولون عن هذا النوع يقولون: هذا فيه لف ونشر مرتب بنفس الترتيب، واللف والنشر في القرآن باب طويل في البلاغة، بلاغة القرآن آيات

كثيرة فيها لف ونشر، لو نظرتم في أوائل سورة الأنفال مثلا نظرتم الأعمال ونظرتم الجزاء، هناك عدة أعمال ولها عدة ضروب وألوان من الجزاء بترتيب ولف ونشر مرتب، وهذا كثير ولست الآن بصدد بيانه، ولكن يكفيني بهذا الكلام عن الفتنة. أتكلم الآن عن معالم الفتنة.

هذا النوع الأول من الفتنة.

هيبة عمر، وعمر صاحب هيبة، ورضي الله عن عمر وما أحوج الأمة إلى عمر، ومن شأن عمر أدب الصحابة قبل غيرهم، تمم ما فعل النبي ﷺ. أدبهم بدرة. عصى كانت معه مثل ظله. وقالوا وجدت ذلك ذكره الدميري في شرحه على المنهاج النجم الوهاج: قد كان عمر درته في رأسها حذاء مُحَمَّد ﷺ. واضع حذاء النبي في رأس الدرة، فمن فعل شيء ضربه بحذاء النبي ﷺ.

فقال بعض أهل العلم: بركة تربية عمر بالدرة بسبب حذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكان يضرب بدرته.

رضي الله عن عمر ورضي الله عن درة عمر.

كان بعض التابعين يقول: والله إن درة عمر لأوقع في نفوسنا من سيف الحجاج. الحجاج كان يؤدب بالسيف الظالم المبير، لكن أثر التربية بالدرة التي فعلها عمر يختلف كثير عن أثر السيف الذي استخدمه الحجاج، فكانت درة عمر أبلغ في نفوسهم من سيف الحجاج.

وعمر الذي يسأل ويفهم ماذا يسأل، والذي ذكره حذيفة ما زاده علما، زادنا علما شديداً، جواب حذيفة نحن الآن في هذا المجلس زادنا علماً شديداً وعليه نجاتنا إن شاء الله، لعل بعض الحاضرين وبعض السامعين من غير الحاضرين ينتبه، نجاتك في أهلك الصلاة وفي مالك الصدقة وفي جيرانك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ليس فينا خير إذا ما أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، ما ننجو عند الله. {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ما فينا خير ما فينا نجاة.

ولذا لما جبريل ينزل بالعذاب، قال فلان عابد! قال ابدأ به إنه ما يغار على محارمه، ما يأمر بالمعروف وما ينهى عن المنكر.

رضي الله عن حذيفة أفادنا، كنا نحن في غفلة ما نفهم أشياء عن الفتن ونحن بدأنا من الصفر كما يقولون. فالفتنة النوع الأول لا تنفك عن الإنسان، والنجاة في الأشياء الثلاثة.

عمر لما قال حذيفة هذا الكلام قال لا اسأل عن هذا، وإنما اسأل عن الفتنة التي تموج مثل موج البحر، اسأل عن فتن آخر الزمان.

هذا الباب طويل والكلام فيه كثير، والإمام البخاري وضع كتاباً في صحيحه في الفتن – الله أكرمنا ودرسناه في مسجد التقوى، ومكثنا أربع سنوات ونحن ندرس كتاب الفتن.

الكلام طويل عن الفتن، وعلمائنا كتبوا كتب كثيرة من أهمها كتاب لابن كثير البداية والنهاية في الفتن، وصنف فيه عدد كبير من أهل العلم.

قال عمر: لا اسأل عن هذا، ولكني اسأل عن الفتنة التي تموج موج البحر.

فقال حذيفة: ما لك وشأنها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً.

أنت يا عمر ما دمت في أمة مُحَمَّد فأنت باب، ولا يمكن للفتنة تخرج وأنت حي. كان يعرف هذا خالد بن الوليد، لما قالوا فتنة تموج موج البحر. قال: لا، وابن الخطاب حي فلا.

الصحابة مطمئنين وعمر موجود ما في فتن.

لذا أول فتنة كبرى –النوع التي تموج موج البحر–

انتبه! عندنا الآن الفتنة نوعين: نوع ما ينفك عن الإنسان، النوع الآخر يموج موج البحر.

أول فتنة ماج فيها مثل موج البحر فتنة من؟

النبي ﷺ قال: أول فتنة لهذه الأمة فتنة عثمان. وفتنة عثمان كان سببها من ؟! الخوارج، تعدوا على أمير المؤمنين وقتلوه وهو يقرأ في المصحف، ولذا مصحف عثمان دمه عليه عند قول الله عز وجل [فسيكفيكهم الله]

فأول فتنة مرَّت في الأمة فتنة عثمان، فتنة الخوارج.

فتنة الخوارج فتنة عظيمة، والكلام عن فتنة الخوارج تحتاج إلى سلسلة من الدروس. والنبي الرحيم بأمته، لما ذكر فتنة الخوارج قال والله لأن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. لأقتلنهم قتلاً شديداً.

لا يوجد حل مع الخوارج إلا القتل، ما في حل أبداً.

هذا حل من؟

أرحم الخلق وأعرف الناس بالحق.

الذين يكفرون المسلمين، الخوارج يكفرون المسلمين وشعارهم تكفير الناس.

إياك والتكفير!

إياك أن تحوم حول التكفير!

لا تكفر ولاة أمور ولا تكفر مسلمين.

ابق في سلامة وابتعد عن التكفير، قل هذا الأمر ليس لي وانجو عند الله عز وجل.

أن تسكت عن تكفير أُلوف الله لا يحاسبك، وأن تكفر مسلماً بباطل فحسابك شديد.

حسابك عند الله شديد ووافقت خصلة من خصال الخوارج.

قال: إن بينك وبينها باباً.

عمر سأل وهو يريد الجواب، واختصر كما يقولون، اختصر في الجواب كثيراً.

فلما قال له حذيفة، وكلام حذيفة ليس من رأسه، وإنما كلام حذيفة من خلال ما سمع من رسول الله ﷺ.

قال: إن بينك وبينها باباً.

فمباشرة قال عمر وأراد الاختصار والإيجاز، بعد أن حذيفة هرب عن فتن النوع الأول، ثم ضايقه عمر فقال: أنا لا اسأل عن هذه وإنما اسأل عن الفتنة التي تموج موج البحر.

قال: إن بينك وبينها باباً.

قال عمر: أيفتح الباب أم يُكسرّ؟

الفتن لابدَّ أن تموج موج البحر آخر الزمان.

وهو يسأل الباب هذا –الذي هو أنا– هو يسأل حذيفة يقول أنا سأموت أم سأقتل؟

سأموت موتاً طبيعياً لما ينتهي أجلي أم سأقتل!

لابد الفتن ستظهر، فأما أن يفتح الباب وإما أن يُكسر.

فما هي كناية كسر الباب؟!

القتل.

فقال حذيفة: بل يُكسر.

خلص حصل عند عمر الخبر، السؤال والجواب معناه طويل لكن النظر فيه دقيق.

أخذ عمر الجواب، قال: يفتح الباب أم يكسر، قال: يكسر.

وعمر كيف قتل؟

تعرفون من قاتل عمر!

قاتل عمر له مشهد وله مكان يحج إليه الناس تعظيماً لشأن القاتل، ولعنَّ الله من عظَّمه.

مقام أبو لؤلؤة المجوسي الموجود في طهران.

نتكلم عن طهران ديانة ولا نتكلم لنرضي أحد أو نغضب أحد، نتكلم عما يجري ديانة ولأن الله يراقبنا.

السعيد من انطلق في الكلام عن الفتن بالثوابت الشرعية، لا يريد إرضاء إعلام أو إرضاء أشخاص.

في ضغط للأشخاص في الفتن، لكن من انطلق من ثوابت شرعية صحيحة، قال الله وقال رسول الله ﷺ فهو في نجاة.

قال: بل يُكسر.

كناية عن كسر الباب.

هذا المعلم الأول.

الآن نرتب وننتقل لمعلم آخر.

المعلم الأول أن الفتن نوعان:

فتن لا ينفك عنها الإنسان في أي مكان أو في أي زمان.

فتنة الرجل في أهله وماله وجيرانه.

والنوع الثاني الفتنة التي تموت موج البحر.

كلامي الآن في المعالم القادمة التي سأبينها بعد قليل هي النوع الثاني لا النوع الأول.

يعني الآن النوع الاول أقفلت عنه الكلام وسأتكلم عن النوع الثاني في ما يخص المعالم الكلية، أنا لا أتكلم في الجزئيات، أتكلم في المعالم.

المعلم الثاني شعاره رواية مهمة أخرجها الإمام مسلم في صحيحه بسنده إلى عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، تابعي.

((قالَ سمعت عبدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ العَاصِ يقول: قال رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلَّا كانَ حَقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ علَى خَيْرِ ما يَعْلَمُهُ لهمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لهمْ، وإنَّ أُمَّتَكُمْ هذِه)).

قلنا لكم إن أمة مُحَمَّد قسمان أمة دعوة وأمة استجابة، والكلام على أمة الاستجابة لا على أمة الدعوة.

هل الأمريكي واليهودي والنصراني والبوذي هو من أمة مُحَمَّد؟! وهذا فصلناه سابقاً في الدروس، هو من أمة مُحَمَّد أو ليس من أمة مُحَمَّد؟

العلماء يقسمون أمة مُحَمَّد قسمان، يقولون أمة دعوة وأمة استجابة.

اليهودي والنصراني من أمة الدعوة، ولكنه ليس من أمة الاستجابة.

أما المسلم الذي يقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّداً رسول الله من أمة الاستجابة.

فكل الناس أمة دعوة. النبي ﷺ بعث إليهم ليدعوهم. هذا معنى أمة الدعوة.

((جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فيَقولُ المؤْمِنُ: هذِه مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فيَقولُ المؤْمِنُ: هذِه هذِه، فمَن أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إلَيْهِ، وَمَن بَايَعَ إمَامًا فأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ؛ فَلْيُطِعْهُ إنِ اسْتَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ. فَدَنَوْتُ منه، فَقُلتُ له: أَنْشُدُكَ اللَّهَ، آنْتَ سَمِعْتَ هذا مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ فأهْوَى إلى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بيَدَيْهِ، وَقالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي)).

هذا حديث ليس سهلاً، هذا حديث كلي مهم جداً، وهذا الحديث الثاني يدل على أشياء، تأملوا معي الحديث جيداً.

النبي ﷺ قال عن هذه الأمة العافية في أولها. ما أدركنا العافية، أدركنا وسيصيب أخرها بلاء وأمور. فسمّى النبي ﷺ الفتن بلاء وأمور، الأمور المدَّخرة آخر الزمن.

والله إني أحب من كل ما في قلبي من أمور، وأدركت حياتي العليمة منذ أن صحيت في العلم إلى هذه الأزمة وأنا أقرأ عن الفتن، والله إني أحب كل ما هو في قلبي أن يكون في قلب كل مسلم، وأن يكون واضحاً جلياً عند كل مسلم، حتى ننجو عند

الله عز وجل وحتى نبتعد عن الفتن، وحتى يكون لنا موقف شرعي مضبوط صحيح في موضوع الفتن.

ألفت نظركم لأشياء من هذا الحديث، الأول قبل أن يذكر النبي ﷺ ما سيصيب آخرها من بلاء وأمور، ركزَّ أنه ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعمله لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم.

ما دامت مهمة النبيين قائمة في الأمة فإن الفتن بعيدة، فإذا تلاشت وضاعت مهمة النبيين بدأت الفتن تغزو الأمة.

العلماء هم الذين يقومون بهذه المهمة، إذا بقي العلماء هم النجوم.

انتبه معي، لما يقولوا فلان نجم افهم ما هو مراد النجم. النجم الذي يُضيء على الناس في الظُلمات هذا معنى النجم. فإذا كان العلماء هم النجوم والعلماء قائمون بدورهم في الأمة والناس تقتدي بما علمهم الله من الوحي من الكتاب والسنة، والأمور واضحة والأنوار واضحة فالفتن تظهر وصاحب الفتنة يظهر ويُقضى على الفتنة في مهدها.

الفتنة لما تنتشر لها أجواء والأجواء تحتاج لفحص وسنعمل بعد قليل على فحص أجواء الفتنة.

لكن يهمني من هذا الحديث أشياء كثيرة وهي مهمة الأمر الأول أن العلماء ما داموا الناس يقتدون بهم وهم قائمون في مهامهم.

ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلم لهم وينذرهم شر ما يعلم لهم الأمة بخير.

إذا أصبح نجوم الأمة المطربين والمطربات والكرة والذي يلعب الكرة فالأمة في مصيبة من المصائب والفتن تُعقد والفتن تكبر وتنتشر، لعدم وجود نجوم حقيقين.

لذا انتشار الكرة وانتشار المطربين والممثلين مع الفتنة أمران لازمان والذي، يوصي بذلك علماء الاجتماع، علماء متخصصون يدرسون.

إخواننا المهندسين يعرفون كيف يقوم البناء، كل بناء له أعمدة، والبناء الكبير إذا أردنا نحن العوام أن نقول نريد أن نُسقِط هذا البناء كل واحد يحمل مهدة ويضرب ويتعب لكن أحضر مهندس بأي طريقة يُسقط البناء؟ كيف قام البناء تسقِطه، حركات بسيطة يسقط البناء. المهندس الخبير يعرف كيف يسقط البناء الضخم، يقول يوجد أعمدة وجسور _أنا لست متخصص أتكلم بعموم في هذا الباب_ لكن والله متخصص في الفتن، والله إني قرأت الفتن وأظن أنه ما من أثر أو حديث إلا حرصت أن أقف عليه.

فالذين يعملون على كيف تنهار المجتمعات يعملون بطريقة صحيحة منظمة كالمهندس إذا أراد أن يُسقط بناءً عظيماً وهذا يلتقي مع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما تصبح النجوم هم غير العلماء لذا بدأت الفتن تنتشر في الأمة.

عالم يقوم بمهمته مع الفتن أمران متناقضان لا يمكن أن يجتمعان فلا بد أن تنتشر الفتنة عندما يسكت العلماء.

العالم ساكت الفتن تنتشر وهذا كلام النبي ﷺ: ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلم لهم وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها) هذه العافية، العافية أن الأمة مرتبطة بمن؟

بالعلماء.

قالوا قديماً ــوهذا الأثر عند ابن نُعيمــ الناس ثلاثة: علماء وأمراء وفقراء، إذا فسد العلماء فسد الدين، وإذا فسد الأمراء فسدت الدنيا ، وإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق.

الغني يضل ويزني ويسرق ويفعل ما يريد براحته ما يخربط الفقير الذي يخربط، الأخلاق تذهب والأغنياء قلة .

لذا قالوا الناس ثلاثة أمراء علماء فقراء وقال هذا أبو بكر الوراق كما في الحلية.

وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها.

العافية والخير والبركة في الأول.

انتبه!

قال: وسيأتي آخرها أمور تُنكرونها.

من الذي يُنكر ما يقع؟

الخطاب موجه للصحابة، الذي يفهم الدين فهم الصحابة هو الذي يُنكر وأما من كان ثمرة الإعلام وثمرة الضالين ممن يتكلمون باسم الدين فلا يُنكر المنكر ، يجد له مسوغات مثل هؤلاء.

قال: وإن أمتكم جُعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها أموراً تُنكرونها.

الذي يُنكرها الصحابة.

انتبه!

الخطاب في آخر الزمان والصحابة لن يكونوا في آخر الزمان لكن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قاعدة مهمة جداً وهي أمر كلي لا ينبغي أن ننساه.

قال: سيصيب آخرها بلاء وأمور تُنكرونها.

أنتم تُنكرونها يا صحابة رضوان الله تعالى عليهم.

فمن الذي يُنكر ما يجري آخر الزمان؟

من يفهم الدين كما فهم أصحاب رسول الله ﷺ.

من لا يفهم الدين على منهج رسول الله ﷺ فهذه لا يُنكرها أحد.

اليوم تجد عجباً باسم الدين للأسف.

لعلي ذكرت لما كنت أبني البيت ذهبت أختار بلاط البيت فقط لهذا البيت ما اخترت إلا لهذا فوجدت امرأة بنت صبية _أسأل الله عز وجل أن يهديها_ فقلت أعوذ بالله لبساها جداً متبرج، فجاءت فضربت على كتفي البنت هذه تلبس لباس

فاضح قالت لي: ممكن تتفضل نجلس أنا وأنت في الغرفة. قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالت لي: أنا أذهب عند رجل يقرأ علي أنا مصابة بسحر وأنت جئت قبل هذه المرة مرة. قلت: نعم والله جئت مرة صحيح. فقالت لي: الأعراض لما يقرأ علي قارئ القرآن لعلاجي تأتيني كلما أراك يدخل لي هذا نفس الأعراض انتعاش وإلخ. قلت: أعوذ بالله!،يا أختي كيف أجلس معك أولاً وحدنا في الغرفة وثانياً ما فائدة أن تبحثي عن من يُرقيكِ وأنت على هذا الحال؟. فقالت لي: الشيطان جاءني بسبب أني لابسة لباس شرعي. قلت: أي لباس شرعي؟.

وإذ بالأخت _هداها الله_ من الأحباش تظن هذا لباس شرعي.

الأحباش يقولون أحضر طين واستر عورتك ما يظهر الجلد واستر عورتك بالطين والمرأة تلبس لباس شرعي.

قلت: يا أختي في رأسك أوهام كثيرة وفتن عظيمة والفتن ليست في بدنك والشيطان غير متلبس بك، كل ما في رأسك غلط، دينك هذا دين غلط دين باطل.

الشاهد هذا مثل من أمثلة كثيرة موجودة في المجتمعات، يوجد أشخاص ممن يُبدّل زوجته بصاحبه باسم الدين، يقول له أنكحتك فلانة واستنكحت فلان خذ الزوجة ويبدلوا الزوجات باسم الدين، ومن هذا الصنف يوجد كثير من الناس، ونحن وإياكم في عافية وأسأل الله أن يحفظ علينا عافيتنا وأن يحفظ علينا ديننا.

الشاهد: تُنكرونها.

من الذي يُنكرها؟

من كان على منهج أصحاب الرسول ﷺ.

سيصيب آخرها بلاء وأمور .

انتبه حتى أُثبت ما أُريد من المِعلَم الثاني، قال: حتى تجيء الفتنة.

فتنة مد يفيض ويأخذ كل ما واجهه وهو راجع، المؤمن يقول هذه مُهلِكتي.

من علامات أهل الإيمان في آخر الزمان أنه ينتظر الموت ولا يقبل أن يُفْتَن في دينه وهذا مَعلَم مهم.

قال النبي ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه.

يوجد رواية في الصحيح فيها زيادة مهمة ومهمة جداً، يقول النبي ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمرّغ عنده ويقول: يا ليتني مكانه.

يتمرّغ أين؟

على القبر.

قد يصيبنا فتنة تكون شديدة فتجعلنا نتمنى الموت ولكننا لا نُدرك أن الموت له هَول، أهوال الموت شديدة فإن تذكرنا أهوال الموت نسينا هذا التمني لكن النبي ﷺ علّق التمني بالموت مع تذكر أهوال الموت.

لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمرّغ عنده.

يتمرّغ عند القبر يُهنيه أنك مِت.

والله أن بعض إخواننا في غزة الآن هذا حاله. مات جائع، بُترت قدمه، أُجري له عملية بدون بنج يتمنى الموت، يوجد أناس في أهل غزة الآن يتمنون الموت والسبب تغير النجوم، السبب الرئيسي النجوم تغيرت، لو العلماء النجوم ما بقي الحال هكذا، السبب أن النجم فلان أو علان من أصحاب الكرة أو من المطربين لو بقي النجوم العلماء ما بقي الحال هكذا.

العز بن عبدالسلام على المنبر ، أول ما حكم المماليك أيام العز فالعز أول خطبة جمعة خطب على المنبر قال المماليك مماليك الأمة عبيد وحكم العبد لا يجوز أن يكون والي فلا بد أن تعتقوا أنفسكم أيها الملوك. يُخاطب الملوك، فخرج فلما خرج خرج معه أهل دمشق كلهم. (إن الأكابر يحكمون على الورى وعلى الأكابر تحكم العلماء).

فاضطر ملوك المماليك أن يعتقوا أنفسهم بأن يدفعوا ثمن أنفسهم لبيت المال. قال: الآن يُبايَعون. وهذا حكم شرعي وليس خروج هذا حكم شرعي صحيح.

فلما تكون النجوم هم العلماء، فالعلماء يضعون الأشياء في أماكنها على وَفق ما يحب الله ويرضى الله سبحانه وتعالى.

انتبه!

في الحديث قال: حتى تجيء الفتنة ويُرقّق بعضها بعضا حتى تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذ مهلكتي ثم تنكشف ثم تجيء فيقول المؤمن هذه هذه.

الفتن أمواج فيها أمواج مثل أمواج الصيف صغيرة كما قال حُذيفة في صحيح مسلم: قال: الفتن منها مثل أمواج الصيف. فتنة قصيرة صغيرة ويوجد فتن طويلة تأخذ الناس كلهم. الفتن في آخر الزمان يُرقّق بعضها بعضاً.

ماذا يعني يُرقّق بعضها بعضاً؟

يعني فتنة اليوم تجعل فتنة أمس رقيقة. أمس فتنتها رقيقة بالنسبة لفتنة اليوم وفتنة اليوم رقيقة بالنسبة إلى فتنة الغد.

فالفتن يُرقّق بعضها بعضاً حتى تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ثم تجيء.

مُرادي من المعلَم الثاني أن الفتن تغزو الأمة على شكل أمواج والأمواج تكون بين الحين والحين ولا تكون الأمواج الفتنة دائمة، الفتنة سنة الله فيها أنها أمواج وهذه الأمواج تعصف بها كالمد والجزر، هذا مَعلَم ثاني.

مَعلَم ثالث الفتنة مع مضي الزمن تشتد كلما مضى الزمن كلما اشتدت الفتن.

أخرج البخاري في كتاب الفتن بسنده إلى الزبير بن علي والزبير بن علي تابعي كوفي، يقول: ذهبت إلى أنس بن مالك. أنس بن مالك الصحابي الجليل كانت له دار في البصرة بصري، قال: ذهبت أنا وآخر ــأظنه حُمَيد بن عبد الرحمنــ إلى أنس بن مالك. انتقلوا من الكوفة إلى البصرة. قال: فشكونا له ما نلقى من الحجاج. الحجاج بن يوسف الثقفي. فسمع أنس الشكوى فقال لنا: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شرٌّ منه سمعته من نبيكم ﷺ. اصبرو.

الحديث مُشكِل يحتاج إلى فهم.

العلماء مُجمِعون أن الدجال يعقبه عيسى عليه السلام، في أشراط الساعة العلماء مُجمِعون: المهدي ثم الدجال ثم عيسى ثم يأجوج ومأجوج، هذه علامات الساعة مُجمع عليها دائماً.

أصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شرٌّ منه، عيسى أحسن من زمن الدجال، فقال بعض أهل العلم لنا جوابان، قالوا:

الجواب الأول: الله يُكرِم الخلق بين الحين والحين بتنفيس، يُنفّس الله على الخلق بين الحين والحين، قالوا وعيسى عليه السلام من التنفيس.

الجواب الثاني قالوا: هذا يخص غير أشراط الساعة الكبرى، أشراط الساعة الكبرى لها نظام خاص ويبقى لابد للناس من تنفيس حول مجيء عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج بن يوسف الثقفي.

العلماء أجمعوا أن الحجاج قبل عمر بن عبد العزيز ، فكيف لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شر منه؟

قالوا : للتنفيس، وهذا كلام الحسن البصري لما سُئِل الحسن عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج قال: لابد للناس من تنفيس. وقاله بعض أهل العلم ، والصحيح أن ابن مسعود قال: لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شر منه ، لا يعني رسولُ الله ﷺ رغداً كثرة رغد يصيب الإنسان وإنما العلم.

العلم في عصر الحجاج أحسن من العلم في عصر عمر بن عبد العزيز.

في عصر الحجاج كان القائمون على العلم من هم؟

الصحابة .

والعصر في عهد عمر بن عبد العزيز تابعون أو تابعوهم.

العلم الشرعي الصحيح كلما مضى الزمن العلم يضيع فإذا ضاع العلم فقدت الأمة النجوم فإذا فقدت الأمة النجوم وقعوا في الفتن.

الآن المِعلَم الرابع وهو مهم: ما هي الفتنة؟

دعوني أتكلم بكلام عصري.

لو أردنا أن نعامل الفتنة معاملة الطبيب للمرض، إخواننا الأطباء لما يرى مثلاً دُمّل في البدن أو مكان فيه داء يأخذ قزحة يُدخلها المختبر ويعمل على تحليلها ويعرف الطبيب ما هي نتائج المختبر وكيف نعرف المرض.

نحن الآن نأخذ قزحة من الفتن نأخذ عينة ونُدخلها في المختبر ونحللها.

تعرفون من الذي صنع هذا؟

الذي صنع هذا النبي ﷺ فقال لنا النبي ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وينقص العمل ويُلقّى الشُّح وتكثر الفتن ويظهر الهرج.

والهرج هو القتل.

الفتنة تتجسد في المجتمع على أجلى صورة وأوضح صورة في القتل ، وتبدأ الفتنة بالخلاف.

اليوم كثير من المشايخ يقول الخلاف ظاهرة حلوة، الأمة المختلفة هذا أمر طيب، وهذا ضلال، الفتنة تبدأ بالخلاف إلا إذا قصدنا الخلاف الحلال كما يقول عنه ابن حبّان ، التنوع يعني وليس الخلاف التضاد أو الخلاف الذي له مُسوّغ وهو معروف عند أهل العلم الخلاف المستساغ وغير المستساغ كلام طويل يُعرف بآثاره من خلال أن يكون الخلاف باقياً في الأمة من الزمن الأول إلى الزمن الأخير.

انتبه!

كل خلاف بقي مستمراً إلى هذا الزمان وبقي موجوداً من كبار العلماء خلاف مستساغ ، عرفناه بثمرته، وأما معرفة الخلاف ليس بثمرته وهذا تعرفه من خلال ما وقع للأمة فيه فهذا لا يحسنه إلا العلماء.

العالم لا يعرف الخلاف .

لذا الأصل في الفتنة غير العالم الأصل فيه يسكت، كلام غير العالم في الفتنة هو وقودها وهو الذي يُشعلها أما العالم هو الذي يتكلم فيها، العالم يلحَظ أشياء فتجعله يقول في بعض الفتن حكماً وهذا الحكم يختلف عنه في نازلة أخرى.

في أحداث سوريا قالوا عني، أني أقول في هذه الأحداث أنني أبَدِّع فلاناً، وهذا كذب، الناس لا تفهم ماذا تقول، لما كُنتُ أُسأل عن بعض إخواننا –وأنا أعرف مُجريات أحداث سوريا معرفة تفصيلية– وقد شاورني وزارني في بيتي مَن كان قائماً على أحداث سوريا (فتنة سوريا)، وزَجرتُه ونَهيتُه وقُلت هذا حرام ما يجوز أن تفعل هذا، فلما كُنتُ أُسال عمّا يصنع ما كُنتُ أقول مُبتدِع –كما يَنقلون عني الآن–، يقولون: (كان يُبَدِّع الذين يتكلمون في أحداث سوريا وهو الآن يتكلم في أحداث

فلسطين!)، بل كُنتُ أقول هذا (هَبَل) ما زلت أقول (هَبَل)، السبب: كان يقول لي الأخوة السوريين الثائرين على النظام النصيري الكافر –لو كان النظام النصيري غير كافر لقُلتُ بِدعَة– لكن قال أنني كُنت أقول بدعة لأنه كلامه هبل، كان يقول: (اخرجوا بالطناجر –أي أواني الطبخ– واضربوا عليها في الساحات)، يريد أن يقاوم عدو نُصيري لا يتقي الله فيك بالضرب على الطناجر، ما تقول له عن هذا العمل ؟

هل مقاومة اليهود بما عندهم من أسلحة الذين دوّخوا الدنيا كلها والجيوش كلها وهم قِلّة، هل هذا مثل ذلك (الذي يضرب على الطنجرة) ونعطيه نفس الحُكم؟ الجواب: العاقل لا يصنع، والذي يجمع القولين بقولٍ واحد مجنون (هَبَل)، أنا أقول هذا الهبل الأول، وهناك هبل ثاني والهبل هو.. هو.

الدين هكذا، الدين يجب تشخيص الفتنة تشخيص صحيح، وتنظر إلى ما استجد من أشياء، والذي استجد من خلاله تستطيع أن تُعطي الحُكم الشرعي الصحيح، أُمِرنا أن نقول الحق وأن نَصنَع العَدل، {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} .

حسناً، الذي جرى في الجزائر، ما جرى في الجزائر ثورة على الحُكام وقَتل، قتلٌ وفتنة أسأل الله –عزَّ وجلَّ– أن يُجنبها كل أمة، ما جرى في الجزائر ثورة على الناس، والناس كانوا يقتلون بعضهم بعضاً، هربوا على الجبال وكان عددهم ستون ألفاً – ليس عدد قليل–، ثم انقسموا، والله أُذني هذه سَمِعَت مِن نائب أمير المجاهدين يقول: (فافترقنا ونحن ثائرون على قسمين، فكُنَّا نسبي النساء، فندخلها على أمرائنا فيتمتعون بهن، ويِسبُون مِنَّا النساء فيُدخِلوهن على أمرائهم فيتمتعون بهن)، واحد اتصل بي وقال أنا نائب الأمير، وإخواننا في الأردن اتصلوا معهم ورجع عدد كبير

إلى الصواب من فضل الله –عز وجل–،– ثم اتصلوا بالشيخ ابن عثيمين ورجع أكثر من أربعين ألف شخص بسبب مكالمة الشيخ ابن عثيمين، حتى يعلم الناس أن العلماء هم الأمان في موضوع الفتنة، الفتنة لا علاج لها إلّا العلماء، الدهماء يجب أن يسكتوا، الجاهل إن تكلّم يزيد الفتنة فتنة، وهذا الجاري اليوم، اليوم الفتن تعبث بالأمة كلها وفي مقدراتها وتقوي عدوها، وتريد من عدوها أن يأكل الأخضر واليابس وأبناء الأمة الذين تُحاك بهم الفتنة هم (بُلهٌ) لا يفهمون، لا يعرفون ماذا يُصنع لهم وماذا يُراد بهم؟ المهم أَسلَم هذه الساعة، غد بعد غد ما تدري!

لكن العالم بما آتاه الله تعالى من بصيرة يَعلَم، والكلام أنتم الآن تسمعونه وأنتم مرتاحون ولكنكم سترون أثر هذا الكلام فيما بعد، لا قَدَّرَ الله لو أن اليهود تمكنوا، فاليهود لا يُقيمون لمسلمٍ وَزْنَاً، يقتلون أهل غزة ليس لأنهم أهل غزة، يقتلونهم لأنهم مسلمون، فالمسلم أينما كان وفي أي بقعةٍ كان مآلُهُ مَآل أهل غزة، ليس لأنهم حماس، لا. من ظن أنهم يقتلونهم لأنهم حماس مُخطئ، هم يقتلون كل من يقول: (لا إله إلّا الله) وهذه عقيدة عندهم، وهذا مدوّن في كتبهم، في التلمود والتوراة موجودة؛ فلماذا نتغابى ولا نقرأ كلام التوراة وكلام الإنجيل؟

الناس الذين ابتعدوا عن حماس، العوائل التي نزحت وابتعدت، والمستشفيات لماذا يُقَتلُون؟

الجواب: يقتلون ديانة وعبادة يتقربون بها إلى الله.

ما الذي ألجأنا الى هذا الدرس؟

وما الذي ألجأنا لهذه الصلاة نصلي الفجر معاً؟ ما هو؟

الجواب: رضى الله –سبحانه وتعالى–، أما هم فيتقربون بهذا الصنيع، قالوا في التوراة الموضوع سهل: (قَتِّل قَتِّل لعلك قتلت بريئاً.. لعلك قتلت بريئاً)، قالوا ما العلاج؟ قالوا هناك كفَّارة في التوراة، وما هي هذا الكفارة؟ قالوا: (تحمل دجاجة وتمررها وفوق رأسك فيجوز قتلها خلاص)، قَتِّل الأمة كلها واحمل دجاجة وفقط لفها مرتين فوق رأسك خلاص تذهب الذنوب، وهذا الذي يصنعه جنود اليهود، فيأتيك واحد يقول لك القتال في.. !!! لا إله إلا الله، والسلام على العقول. السلام على العقول، عقول الناس ما تفهم، الناس ما تفهم، هو يريد أن يذبحك وأنت تقول: (مساكين اليهود، لولا حماس والله لبقي أهل غزة في أمان). وسنة السبعين حاولوا قتلهم؟ لماذا يسألون حسني مبارك عن الأنفاق؟ تتبع الأنفاق قديم، والقرائن مُعتبرة، لا يترك القرائن إلا الجاهل، عثمان –رضي الله تعالى عنه– رجم امرأة حتى الموت لأنها حَبَلَت، ظهرَ فيها حَبَل وكانت متزوجة ومطلقة، فظهر بها حبل، فقال هي زَنَت، هل هناك حَبَل بدون زنا؟ معقول امرأة يظهر فيها حَبَل بدون زنا!؟

فأخذها وقررها ورجمها بقرينة ماذا؟ الحبل ما اعترفت، يعني امرأة حملت وهي غير ذات بعل، وهي ثَيِّب، يُقام عليها الحد ولو ما اعترفت. لماذا أقمنا الحد؟ من القرائن.

أنا وأنت لو رأينا شاب صغير حامل (غترة) ويركض، ورجلٌ كبير لا تراه إلا وهو يلبس (غترة)، وهذا الرجل الكبير يركض وراء الشاب وهو لا يلبس غترته، نحن ما شهدنا إلا الركض، ماذا نقول؟

الجواب: نقول هذا الشاب نزع الغترة عن رأس هذا الشيخ الكبير وسرقها منه.

هذا عُرِف من أين؟

من القرائن، فالقرائن حجة معتبرة.. القرائن حجة معتبرة.

إذاً المِعلَم المهم في موضوع الفتنة ما تكلمنا عليه، النبي -ﷺ- بيَّنَ لنا ان الفتنة متى تظهر؟ قال: (يتقارب الزمان)، وتقارب الزمان يعني رفع البركة، وما زالت البركة في الأمة لا يوجد فتن؛ والنبي -ﷺ- فسّرَ تقارب الزمان بحديث آخر، قال: (لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كَضُرمَة تُشعل فيها النار)، قش تحرقه، ما في بركة، قال النبي -ﷺ-: (لا تقوم الساعة حتى تُمطروا ثم تمطروا ثم تمطروا ولا تَنبُتُ الأرض شيئاً)، المطر في غير وقته ما في بركة. فالفتنة لو أردنا تحليلها الآن، وأخدنا قزحة لنحللها في المختبر، أول شيء الفتن تظهر في الأمة لما البركة تُرفع.

البركة تكون باسم (الله) اسم الله تعالى، وتكون في الاجتماع ، البركة في الجماعة، أن يجتمع الناس على ولاة أمورهم وألّا يختلفوا، وأن يكون علماؤهم هم القائمون على دينهم، وأمراؤهم يعملون لمصالح شعوبهم في ماذا؟ في دنياهم، فالدين مَكفي من العلماء قائمون به، والدنيا مكفية بالأمراء القائمون على شأن الدنيا.

العالم الرباني عند الحاكم هو أحسن من كل نواب الأمة، الأمة ما بدها نظام الحل والعقد، بدها نظام نيابي، الذي يَسُد مكان النواب كلهم العلماء يكونوا عند الأمراء، فالعالم عند الأمير هو للناس، وهو عند الناس هو للأمير؛ العالم عند الناس للأمير، وهو عنده الأمير هو لمن؟ للناس، فالعالم يكون له هيبة، ولا يكون موطن

تفريق ولا تأجيج ولا تثوير للشبهات، ومناداة الخروج وزحزحة الأمن، هذا العالم الرباني.

الفتنة تظهر بتقارب الزمان، ينقص العمل، ما في عمل ما في قيام ليل، ما في صيام، ما في قرب وتأله لله -عز وجل-، الذي يصعد إلى الله، الله يُنزل من جنس ما صعد إليه، ما الذي تصعده الناس من أعمال لله -جل في علاه-؟ فالعمل لما يكون المخفي والخبيئة عند كل انسان ويتقرب الى الله بالعمل الصالح ويكتمه ولا يظهره فحين إذ الفتنة بعيدة.

يُلَقَّى الشح، أي أن الناس تبخل ويتآمرون فيما بينهم بالبخل، هذا هو الشح، ولا يوجد بذل وهذا سبب من أسباب الفتنة، وأسباب الفتنة هذه تبقى تظهر تظهر حتى يظهر القتل، وقال أبو موسى الأشعري أو في الحديث المرفوع -بعض أهل العلم يرفعه للنبي -ﷺ- أو هو من تفسير أبي موسى -رضي الله تعالى عنه- قال: (لا يريد نبيكم -ﷺ- قتلكم لأعدائكم وقتل أعدائكم لكم، ولكن يقتل بعضكم بعضاً)، وهذا واضح.

أدركنا في الفتنة في ليبيا قريبة، الفريقين يتقاتلون وكل واحد يقول: (شهيد في سبيل الله.. شهيد في سبيل الله)، إلى هذا الحال وصلت الفتن بالأمة؟!

فالفتنة لما تحللها تجد أنها ينقصها عمل شرعي قائم على علم وإخلاص لله سبحانه وعدم بركة وعدم وجود البذل في سبيل الله -عز وجل- وإنّما يُلقى الشُّح، فلما نأخذ القزعة هذه ونحللها هذا هو حال الفتنة وفي هذا الجو تنتشر الفتنة.

فالواجب لمعرفة أي فتنة أمرين:

الأمر الأول: أن تشخصها بما ورد في النصوص، وأن تفهمها على حالها بملابساتها وما يجري فيها.

الأمر الثاني: أن تُراعي الفروق التي وُجدت في فتنة دون فتنة.

فهذه معالم كلية لابد لطالب العلم أن يعرفها عن الفتن.

وأكرمني ربي بكتيب صغير سميته: (منهج السلف في الفتن) وهي محاضرة ألقيتها في الكويت، طولت في بيان معالم الفتنة الكلية، فالتتمة هناك، وأحيل على ذاك الكتاب لأن الوقت قد أدركنا.

هذا والله أعلم، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه أجمعين.

الفتن كلما علمتها ودرستها وخضت فيها من خلال الأحاديث والآثار ابتعدت عنها، وكلما غفلت عنها (أي الأحاديث والآثار) وقعت فيها، فما ينبغي لأحد أن يتكلم فيما يجري في الفتن إلا وهو شبعان وريّان من الأحاديث والآثار الواردة في الفتنة.

هذا والله أعلم.

خدمة الدرر الحسان.